

## تداخل السرد التخيلي والسيرذاتي

### في التجربة الروائية لزهورونيسي

#### The Overlapping Imaginative and Autobiographical Narration in the Fictional Experience of "Zohourounessi

عبد المالك مغشيش<sup>1\*</sup>

نجوى منصوري<sup>2</sup>

<sup>1</sup>جامعة عباس لغرور خنشلة abouaroua1@gmail.com

<sup>2</sup>جامعة الحاج لخضر باتنة 1 nejouan@gmail.com

تاريخ الإرسال	2019/01/06م	تاريخ القبول	2019/02/18م
---------------	-------------	--------------	-------------

#### ملخص

تروم هذه الدراسة مقارنة المنجز السرد في رواية السيرذاتية "لزهور ونيسي"، من حيث جمالية كسر تقاليد التخصص في الأنواع الأدبية، والانفتاح على تجارب إنسانية تخص جوانب من حياة أشخاص تضمهم أحداث السرد، وأهمها ما تعلق بقضية المرأة في المجتمع الجزائري، بحيث رصدت جوانب من حياة نساء مهمشات ونساء مناضلات، وهو تشكيل تخيلي لصورة نموذجية للمرأة الجزائرية عموما يتداخل والتشكيل السرد للسيرة الذاتية للمبدعة.  
الكلمات المفتاحية: التجريب، السيرة؛ الخطاب، الرواية، أدب جزائري.

#### Abstract

This study aims to approach the narrative achievement in the autobiographical novel of "Zohour Ounessi", in terms of Aesthetic breaking the specialization traditions in literary genres, and the openness to human experiences related to people's aspects of life included in the events of narration. The most important of which is related to the issue of women in the Algerian society. However, the writer spotted some aspects of the lives of marginalized and struggling women which is an imaginary formation of a typical image of Algerian women in general, overlapping with the narrative formation of the creative biography. the, so that aspects of The lives of marginalized women and women militants, which is an imaginary formation of a typical image of Algerian women in general, overlapping with the narrative formation of the creative biography.

**Keywords:** Experimentation, biography; Discourse, novel, Algerian literature

يرتبط التجريب في رواية السيرة الذاتية بمستويات بنية الخطاب الروائي، من حيث تداخل الأصوات والصيغ بين الواقعية والتخييل، وارتباط تخيل الزمن باسترجاعات ذاكرة الزمن الحقيقي للذات الكاتبة واستشراق زمن رؤيوي يتجاوز الواقع، واتساع الفضاء المكاني عبر أمكنة الذاكرة التي تتماهى في المجهول الروائي ... وهي أنساق سردية تجلّي آليات تحويل الواقعي إلى تخيلي.

وفي ظل أساليب الطرح النصي وتقنيات السرد في تحويل الواقعي إلى تخيلي، تشترك أصوات الشخصيات الروائية في أعمال زهور ونيسي لتعبر عن وجهات نظر متباينة توحى بالاختلاف الحاصل بين ما تحتزنه الذاكرة التاريخية للمبدعة وما يحدث فيا لواقع، ولذلك نجد السارد يحمل رؤية أو تصور يشترك فيه مع المبدعة، ويتعلق بالتحول الاجتماعي في الجزائر وعلاقته بذاكرة المبدعة المختزلة لفترة حرب التحرير، كما نجد صوت المرأة الثورية، ووقائع حقيقية خاصة بالمبدعة ذاتها.

تروم هذه الدراسة مقارنة المنجز السرد في رواية السيرذاتية "لزهور ونيسي"، من حيث جمالية كسر تقاليد التخصص في الأنواع الأدبية، والانفتاح على تجارب إنسانية تخص جوانب من حياة أشخاص تضمهم أحداث السرد، وأهمها ما تعلق بقضية المرأة في المجتمع الجزائري، بحيث رصدت جوانب من حياة نساء مهمشات ونساء مناضلات، وهو تشكيل تخيلي لصورة نموذجية للمرأة الجزائرية عموما يتداخل والتشكيل السرد للسيرة الذاتية للمبدعة.

تبعاً للتصور السابق يمكن وضع الدراسة تحت ثلاثة مباحث رئيسية:

## 2. التداخل الأجناسى (الرواية، السيرة الذاتية)

كثيرا ما يقع اللبس فى محاولة التمييز بين الأنواع والأجناس الأدبية المتقاربة، ويعد أدب السيرة الذاتية أو المذكرات أو الاعترافات من الكتابات التى تتداخل وأدب الذات شعرا كان أو نثرا أو سردا، ومنها الرواية.

وقد انتقلت خصائص كتابات الذات فى تعبيرها عن واقع الذات والمجتمع والتاريخ إلى السرد فى الرواية واندمجت فى خصائصه الفنية المبنية على التخيل، فتداخل الواقعي والتخيلى من جهة، كما اندمجت فى المخبوء أو المضمهر السردى المتعلق بالمسكوت عنه فى الواقع الذى تعيشه الذات، والملتصق بهموم الذات واهتماماتها وآرائها وتوقعاتها حول ما يحدث فى واقعها وأزماتها، من جهة أخرى. وبين التشكيل الواقعي التخيلي والمضمهر الذاتى الثقافى أو الأيديولوجى أو الاجتماعى... تقع كتابات السيرة والاعتراف والمذكرة فى رحم الرواية.

ومن الكتابات الروائية التى تتداخل وفن السيرة الذاتية رواية " من يوميات مدرسة حرة" لزهور ونيسى، فهى نوع من الكتابات السردية التى يلتحم فيها السرد التخيلي مع وقائع حقيقية خاصة بالمبدعة ذاتها، فسرد السيرة فى هذه الرواية قد تحول إلى سرد قصصي بأحداث وأزمات وفواعل سردية، و قدّم بين أسطره مرحلة مهمة من حياة المبدعة زهور ونيسى، خاصة وأن ضمير المتكلم قد ورد صريحا فى السرد، وفى ذلك نوع من كسر تقاليد التخصص فى الأنواع الأدبية، فالسرد الذى احتفأ بحياة المبدعة لم يقتصر على ذلك وحسب، بل ضم مجموعة من التجارب الإنسانية تخص جوانب من حياة أشخاص ضمّتهم أحداث الرواية، فرصدت نماذج لنساء مهمشات مقهورات فى المجتمع، ونساء مناضلات ...

ولم تكن "من يوميات مدرسة حرة" الرواية الوحيدة التى تمثّل التداخل الحاصل بين السرد الروائي والسير ذاتي فى أعمال "زهور ونيسى"، وإنما نجد إلى جانبها رواية "لونجة والغول" ورواية "جسر للبحر وآخر للحنين"، فالسرد فى

الروائيتين يتعالق وحكايات الذاكرة والتاريخ ويرد ضمن تداعيات تجربة الذات وصراعها، ويلخص تجارب إنسانية تتجاذب أطراف الواقع الذي تعيشه الذات.

### 3. سرد الذات في رواية السيرة الذاتية:

الخطاب الذاتي ممارسة لغوية متعلقة بقواعد وشروط فنية، تختلف باختلاف وتنوع الفنون والأشكال الأدبية التي احتوت هذا الخطاب، ولذلك يأتي الخطاب الذاتي محتكما لقيم جمالية يفرضها الشكل الأدبي الذي احتواه من جهة، ولقيم اجتماعية وإنسانية وثقافية... يفرضها الواقع الذي تعيشه الذات، ومن هنا يكون تقييم الخطاب الأدبي الذاتي بالنظر في مكوناته التي تندرج ضمن ثنائية: الشكل والمحتوى معا (صحراوي، ط1، 1999، صفحة 219).

انطلاقا من هذه الخصوصية المميزة للخطاب الأدبي الذاتي، يمكن تحديد خصوصية الخطاب الروائي المعبر عن الذات في كونه: >> الطريقة التي تقدم بها المادة الحكائية في الرواية، وقد تكون المادة الحكائية واحدة لكن ما يتغير هو الخطاب في محاولة كتابتها ونظمها << (يقطين، ط1، 1997، صفحة 07)، ولهذا قد تختلف خطابات الرواية السيرذاتية حتى وإن اتحدت المادة الموضوعية للحكي (السيرة) بشخصياتها وأحداثها الأساسية وفضاءها الزماني والمكاني، ويكون سبب الاختلاف هو تعدد الإمكانات الفنية والجمالية القائمة على فعل التخيل.

فالخطاب الروائي نظام تواصل ي تحقق في عالم السرد، بين الأحداث والشخصيات والسارد الذي يعرض تفاصيل هذا النظام التواصلي وفق منطق الذات ضمنيا والتخيل شكليا أو فنيا، ذلك أن المسرود الروائي هو محكي تخيلي يشبه عالم الواقع الخارجي ولا يطابقه، فهو نتاج تبداعه الذات بخصوصياتها الفكرية وتوجهاتها الأيديولوجية... من جهة، وخصوصيته لغة المتخيل السردية من جهة ثانية.

ولعل الذات التي تكتب سيرتها تستعين بالرواية وتقنياتهما كونها أكثر الأنواع الأدبية تداولاً وقراءة، حتى تفرغ شحناتها المتشكلة من مزيج بين الأفكار والأخيلة، فموضوعها شخصي لكنه غير ظاهر، بل إن الكاتب ذاته لا يريد أن يظهره، ولذلك كثيراً ما يأتي السرد بصيغة الغائب، فالاهتمام بصياغة سيرة كاتب ما في شكل رواية هي إحدى سبل البحث عن أكثر الأشكال طواعية لسرد تفاصيل الحياة في شكل يخفي الكثير من الخصوصية ضمن تلك التفاصيل، ولعله فعل يفوق البحث في أدبية الكتابة السيرية في ذاتها بالرغم من أنها تحمل ضربين من الأزواج على حد قول عبد العزيز شرف في كتابه "أدب السيرة الذاتية" وهو اجتماع غاية ظاهرة مع غاية مبطنة من جهة، ثم استقراء موضوعي مع تسويغ ذاتي من جهة ثانية (شرف، 1998، دط، صفحة 37)، بحيث يقاس إبداع الكاتب في تحقيق ذلك من خلال النسيج النصي الذي يحكم فيه الكاتب المزج بين المظهرين، ولعل فنيات الكتابة الروائية تحقق له ذلك.

تتوسل سيرة الكاتب الذاتية فنيات التعبير السردية في الرواية لتحقيق غايات محددة يمكن إجمالها في: التعريف بالظروف المحيطة، والتوجيه الاجتماعي أو السياسي أو الفكري، نقل التراث الثقافي، المتعة والافضاء والاعتراف، التاريخ... ولعلنا نجد بعض هذه الغايات تلتف حول مسرودات "زهور ونيسي" الذاتية في الكثير من رواياتها وعلى رأسها: "يوميات مدرسة حرة"، "جسر للبوح وآخر للحنين"، "لونجة والغول"، وهو ما يمكن كشفه من خلال جماليات تشكّل الذات في هذه الروايات بين السرد التخيلي والسيرذاتي.

#### 4. تداخل السرد التخيلي والسيرذاتي في روايات زهورونيسي

تكشف الوظيفة الإبلاغية للسرد عن نسق مضمر يتوارى خلف الأضرب اللغوية التي قد تصب في قالب شكلي موحد تشترك فيه النماذج الإبداعية السردية، وهذا يعني ضرورة اختلاف النصوص باختلاف البنية الخاصة التي تنتجها صيغ التعبير المنفردة وطرائق الوصف، ووجهة نظر الكائنات الورقية، وبلاغة المحطات الزمانية والمكانية

هذا التصور يجرنا إلى الحديث عن خصوصية النص المركب، الذي يتداخل فيه التخيلي والسيرذاتي، ذلك أن الصورة البنائية المعقدة لهذا النص أساسها التغيير الحاصل في نظام اللغة، والمفارقات الحاصلة بين نظام التركيب اللغوي وغيره من الأنظمة اللغوية الأخرى، وهنا يمكن للتعبير التخيلي والسيرذاتي أن ينتقل من الدرجة الساكنة في الكلام إلى خطاب مميّز له خصوصياته (المسدي، دط، دت، صفحة 41). ومن فنيات التشكيل الروائي المركب الذي يتداخل فيه التخيل والسيرذاتي، والذي يفضي بغايات الذات المضمرة (وقد أشرنا إليها سابقاً)، نجد:

#### أ- العنوان:

لا يمكننا الوصول إلى فهم طبيعة العلاقة التي تجمع فن السيرة الذاتية وفن الرواية، إلا من خلال عملية البحث في النصوص الجامعة بين الفنين. ومقاربة النص الروائي في تعالقه وفن السيرة يستدعي استقصاء التشكيلات النصية التي تحيل إلى التوثيق التاريخي أو التراثي في علاقته بذاكرة الذات التي تكتب سيرتها (Lejeune، 1975، صفحة 44)، ولعل العنوان من التشكيلات النصية التي تحيل إلى تلك الصلة.

يفضي عنوان "من يوميات مدرسة حرة" إلى كتابة المذكرات أو اليوميات، وهي نوع من السرود المرتبطة بتفاصيل حياة الذات بوصفها شاهداً على وقائع

وأحداث حقيقية ، فالمذكرات أو اليوميات بنية سردية تكتمل حلقاتها الزمنية عبر تواتر الأحداث التسجيلية لمحطات من حياة الذات الكاتبة، وإذا حاولنا كشف سبب ورود لفظة "يوميات" دون "مذكرات" فإننا نجد الكاتبة تميل إلى كتابة تجاربها اليومية في شكل أدبي حكائي يتمتع بقدر من فنيات وأساليب تخييل السرد الروائي، على غرار "يوميات نائب في الأرياف" لتوفيق الحكيم، وتناهى عن أساليب كتابة المذكرات التي ترتبط بمفرزات الفكر في تحليل الواقع أو التاريخ وعدم الالتفات لفنيات وأساليب التخيل الأدبي (الروائي) مثل "مذكرات شاهد القرن" لمالك بن نبي .

وأما عنوان رواية "جسر للروح وآخر للحنين" فيوحي بكسر حواجز الذات التي تحول بينها وبين البوح عما تختزنه نفسها المتأزمة، والحواجز التي تحول بينها وبين ما تختزنه ذاكرتها وحنينها إليه، عبر تركيب العنوان الذي يتمحور حول لفظة "جسر" عن طريق التكرار، ولعل ما جاء في السرد من محاولة تعرية الذات للبطل والافصاح عن مخبئها من المشاعر والأفكار يفرز دلالة تجسير الذات والروح، وتجسيروها والحنين إلى ذكريات الماضي المجيد، وهي محاولة لتفجير كراتها النفسية وهمومها اللصيقة بتصدعات واقع ما بعد الاستقلال وذكريات الثورة التحريرية، تقول: <<الفضل لجسورك وهي تستجديني لتربط خطواتي مع الطريق، لكنها قبل ذلك قد ربطت الأفكار والأمانى العذبة، رغم مظهرها الخطير...ستبسط الأفكار ذراعها، فتلقفك وتنقذك من الضياع، إن جسوري أفكار ومعاهدات بين هذا الزمن والأزمنة الغابرة والقادمة>> (ونيسي، دط، دت، صفحة 36). تصنع الذات جسورا تربط ماضي الثورة بحاضر الاستقلال عبر عتبات ميثاقها الأبدى الذي سيمد جسور الذات إلى المستقبل.

أما "لونجة والغول" فهو عنوان خرافي يستمد تفاصيله من حكاية أسطورية شعبية عن فتاة فائقة الجمال تعيش مسجونة في قصر والدها المزيف

الغول الذي فرض عليها جبروته وسيطرته، وصلته هذا العنوان الخرافي مع السرد الذاتي الذي يجمع الواقع والتاريخ، تتبين من خلال المعاني التي تضمنتها حكاية الرواية وبطلتها مليكة، فبين المادة التاريخية التي تسردها الذات الواقعة عنصرا مهما في تفاصيل هذه المادة التاريخية المسرودة وبين العنوان الخرافي نجد دلالة الصراع بين "الأنا" (الذات الأنثوية الساردة) الممثلة لجمال الوطن والثورة والاستقلال معا، و"الأخر" الممثل لقبح الاحتلال والسيطرة وقمع الحرية.

#### ب- السارد:

يمثل السارد في الرواية، العنصر الذي يحمل وجهة نظر صاحب النص، فهو يتمثل مرجعيات الكاتب وتوجهاته الفكرية والأيدولوجية من خلال آرائه ومواقفه المستقلة والواضحة في السرد، أو المؤيدة لآراء شخصية البطل عادة أو شخصيات متعددة تتبنى الرأي أو التوجه الأيدولوجي ثم تتنوع مواقفها بحسب طبيعة كل شخصية في السرد، ولذلك فإننا >> لا ندرك المتن الحكائي إدراكا مباشرا وأوليا كما في المسرح مثلا، وإنما من خلال إدراك سابق له وهو إدراك السارد الذي يتغير بدوره بتغير تموضعاته، واختلاف أنواع العلاقات التي يقيمها مع شخصيات عالمه التخيلي >> (طيب، 1993، صفحة 68). وقد يتجاوز السارد عالمه السردى فيتماهى في ذاكرة المبدع من خلال ارتداده إلى الماضي التراثي، ووقائعه التاريخية. فقد يكون السارد صاحب النص الروائي المكتوب على الغلاف، وقد يكون شخصية مستقلة أوكلت إليها مهمة السرد، أو يكون رمزا لالتقاء الماضي والحاضر بالمستقبل مخضرا في أيقونة الرواية. وحسب رأي ميخائيل باختين فإن متلقي النص يقرأ محكيا للسارد ومحكيا آخر يختفي وراء الأول هو محكي الكاتب؛ فكل >> لحظة من المحكي تكون مدركة بوضوح على صعيدين: على صعيد السارد، وحسب منظوره الغيري الدلالي والتعبيري، ثم على صعيد الكاتب الذي يعبر عن نفسه بطريقة منكسرة داخل ذلك المحكي ومن خلاله. والسارد نفسه، وكل ما هو

مسرود، يدخل سوية داخل منظور الكاتب>> (ميخائيل باختين:، ترجمة محمد برادة،، ط1، 1987، صفحة 83)، وكثيرا ما يرد السارد في هيئة المرسل المتخيل للخطاب إلى المرسل إليه المتخيل أيضا، ويتم تخيل السارد والمسرود له معا بمجرد التلفظ بأول كلمة (سويرتي، ج2، دط، 1991، صفحة 116) فيغدو الخطاب الروائي بذلك في شكله المختلف.

وفي رواية السيرة الذاتية التي يتداخل فيها المحكي التخيلي مع المحكي من سيرة الروائي، يهيمن السارد متمثلا للذات و يقدم مواقف يحدد من خلالها رؤية الذات للعالم الذي يحكيه وأحداثه ومواقف شخصياته، ومن هنا تنشأ قراءة المحكي السردى في هذا النوع من الروايات من خلال العلاقة التي يقيمها القارئ والسارد و تقوم على الإدراك المتعالي الذي يكشف عن إنتاجية النص ودلالات هذا الوضع السردى ويحدث ذلك من خلال كشف الوضعيات المختلفة للسارد، ومن ثم كشف الغاية التي يهدف إليها الكاتب عبر سارده في تجاوز السرد إلى أغوار الذات.

يتجسد هذا التصور في روايات زهور ونيسي، من خلال تصويرها للتحوّل الاجتماعي في الجزائر المستقلة وعلاقته بالروح الوطنية المختزلة لفترة النضال الوطني وحرب التحرير، وهو طموح أو غاية مرتبطة بوعي أنثوي ذاتي اتجاه ما حدث من متغيرات في فترة التسعينات، ولذلك تماهى سارد رواية "جسر للبوح وآخر للحنين" في أغوار هذا الوعي، فكان وصفه مهيمناً على ركح الأحداث، كما كان وصفه لمشاهد شوارع قسنطينة بمثابة رثاء المبدعة لها تقول: >> ... تمر الأجيال لتبقى تلك الحضارة تركة للعالم أجمع و ثراء للإنسانية كلها... هذه هي الحضارة، ويبدو أن أهل مدينته يدركون ذلك، ليس بهذا المعنى، ولكن على الأقل بمعنى أن هذا ماضيهم، تاريخهم مهما اختلف البشر>> (ونيسي، دط، دت، صفحة 08) (ونيسي، دط، دت) ويتداخل السارد والذات في رواية "من يوميات مدرسة حرة"

لتوجيه السرد نحو غايات اجتماعية انطلاقاً من قالب المذكرات اليومية ، بحيث وجدنا وجهة نظر الأثني ووعمها اتجاه ما تعانيه المرأة في مجتمعها الذكوري بين ذكريات الماضي وواقع الحاضر.

ت- صراع (الأنا، الآخر):

كثيراً ما تعيش الذات حالة من الاغتراب النفسي أو الاجتماعي أو المكاني... وهي تعيش وسط مجتمعات يندر فيها الحوار، وقد عاشت الذات في روايات السيرة الذاتية عند "زهو ونيسي" حالة اغتراب ناتجة عن ندرة الحوار بين "الأنا" الممثلة في الذات الأنثوية و "الآخر" الممثل في الطرف الثاني في المجتمع، سواء أكان طرفاً داخلياً أو خارجياً، وحالة الاغتراب هذه تحيل إلى أنساق تعبيرية تجمع عادة بين البوح والصمت.

يمثل البوح في رواية السيرة الذاتية "زهو ونيسي"، إفصاحاً عن حالة اللأاستقرار للأنا في المجتمع، أو إفصاحاً بعدمية الحوار بين الأنا والطرف الآخر في المجتمع، ويأتي في النص في شكل صراع أو حالة من حالات المقاومة لما قد يعيشه الشخصية الممثلة للأنا أو الذات، وهو مرتبط بالصراع الذي يحدث في الواقع الحقيقي بين ذات الأثني والطرف الآخر الذي يمثله الرجل أو السلطة أو الأعراف الاجتماعية... أو المحتل الأجنبي، وأما المسكوت عنه في النص فتمثله أنساق مضمرة تتوارى خلف المتخيّل وتفسّر حالة الاغتراب التي تعيشها ذات الأثني تحت ظل الصراع الذي يعيشه "الأنا" الممثلة لتلك الذات في الرواية، كما تفسر تلك الأنساق أسباب حالة الاغتراب والتي تعود إلى ما تعيشه الذات الكاتبة وتشارك فيه مع ذوات المجتمع من قهر وتهميش وكثير من الأزمات الاجتماعية والسياسية والثقافية... تحت وطأة السائد الثقافي الداخلي أو المحتل الأجنبي الخارجي.

ففي رواية "لونجة والغول"، يهيمن صوت المرأة الثورية على السارد بهدف تحقيق وجود الذات الانثوية ويسهم السارد في تشكيل وجهة نظر المبدعة الانثي،

بحيث يحاول رسم نموذجين عن هذه المرأة في الجزائر: نموذج المرأة الثورية الواعية وهي المرأة التي أخبرت مليكة، بطلة الرواية، بأنها أرملة شهيد نُفذ فيه حكم الإعدام بالمقصلة، فالتحقت بصفوف جيش التحرير، ليس للأخذ بثأر زوجها وحسب، بل للثأر من المستعمر الذي اغتصب الوطن والحرية كذلك، وبأن مهمتها اليوم هي الكفاح من أجل إعلاء كلمة الحق؛ تقول: <<إذا كان الهدف من عملي هذا هو الثأر كما تقولين فإنه يبدأ من زمن بعيد جدا، فقد استشهد والدي وعمي في أحداث سنة 1945 بخراطة، واستشهد قبل ذلك بكثير جدي لأمي في ثورة (الزعاطشة) بالجنوب، لكنني لا أعتقد أنه ثأر أو حقد بقدر ما هو كفاح من أجل الحق، حقنا في وطننا وحریتنا، سينتهي حتما بمجرد أن يتحقق نصرنا و نسترد حریتنا فوق أرضنا.>> (ونيسي، لونجة والغول، دط، دت، صفحة ص81\_82).

ونموذج المرأة البسيطة التي أهلها ظروفها الاجتماعية لخدمة مبادئ ثورة التحرير ونشرها بين أفراد المجتمع: يقول السارد: << استثمرت المقاومة مواهبها واستغلت لسانها وتواجهها دائما بين النساء، حيث التجمعات في الأفراح والمآتم ووسط مختلف شرائح المجتمع المدني فلم يكن هناك تجمع بمناسبة أو دون مناسبة، إلا وخالتي البهجة هناك تصول وتجول وتقول ما تريده لها المقاومة أن تقول وحسب المناسبات ... >> (ونيسي، لونجة والغول، دط، دت، صفحة ص70).

إننا لنجد بوح الذات الأنثوية الكاتبة عن صراعا وثورتها ضد المحتل الفرنسي، ونجد إضمارها لغايتها الاجتماعية المتمثلة في قدرتها على مواجهة المحتل وبروزها إلى جانب الرجل في ميدان الحرب والمقاومة، وهو نوع من الرسائل التي تمررها الكاتبة في محاولة تقويض سلطة الذكورة في المجتمع الجزائري.

و تحاول الذات الكاتبة في رواية "جسر للبوخ وآخر للحنين" مواجهة الآخر السياسي و كشف ألعيبه وبعض الحقائق عن محاولاته للسيطرة على مدينة قسنطينة الأصيلة، وهنا تماهت الذات في ذكريات المدينة الذي أصبح جزء من

ذكرياتها الشخصية، بحيث أصبحت قسنطينة تمثل التراث التاريخي والثقافي للذات، وأصبح صمود الذات مرتبطا بنموذج قسنطينة التي صمدت عبر تاريخها الطويل ضد الحملات الأجنبية وحافظت على أصالتها وهويتها، تقول: <<كل الحملات التي شنتها لامتلاكها باءت بالفشل، حتى تلك التي جاءت باسم الأخوة والدين... >> (ونيسي، جسر للبوخ وآخر للحنين، دط، دت، صفحة ص 14).

### ث- الحلم:

تظهر فاعلية الذات في رواية السيرة الذاتية عند "زهور ونيسي" عبر الحلم و تفاعله مع الواقع من جهة والتاريخ من جهة ثانية، بحيث تستحضر الذات تراثها التاريخي عبر تداعيات الحلم فيظهر في شكل تخيلي يمزج المكون التاريخي ومكون الذات، وهو ما تجسد في رواية "جسر للبوخ وآخر للحنين" في قولها: <<قبل أربعين عاما حملت حلمي بين أضلعي، حلمك أيها الغريب لم يتحقق >> (ونيسي، جسر للبوخ وآخر للحنين، دط، دت، صفحة 17) فقد اختارت الذات (البطل) الهروب من الواقع قبل أربعين عاما، وأبقت حلمها منحصرا فيها، وهو حلم العودة إلى الوطن/ قسنطينة، وعودة الوطن إلى صورته الأولى في التاريخ، أين كانت قسنطينة أنموذج الأصالة والصمود والهوية والشموخ، وأصبحت بذلك أنموذج الكاتبة ذاتها الذي تحلم بتحقيقه في ذوات المجتمع.

و يتراءى زمن الاحتلال الغاشم للجزائر في رواية "لونجة والغول" حين تتحول أحلام مليكة من طموح فردي إلى آمال جماعية؛ فقد تزامن في ذاكرة البطلة زمن الاحتلال وزمن الحرية، وكأننا بالمبدعة وهي تخط أحداث روايتها تتشارك وبطلتها حلم التحرر والانطلاق وكان ذلك بالعودة إلى زمن التحرر الأول وهو زمن ثورة التحرير الكبرى؛ يمكن قراءة ذلك في العديد من المقاطع التي تتحد فيها ذات المبدعة بذات البطلة، تقول: <<ما الفائدة من الغضب، والحقد على بعضنا البعض، فربما يرى أحدهنا الآخر في الغد، ومدى الحياة، ويبدو أنه ليس هناك أظنى

من المستعمر وأدواته» (ونيسي، لونجة والغول، دط، دت، صفحة 89)، فالمبدعة تحاول التماهي في ذات بطلة روايتها لتستعيد سنوات النضال والكفاح ضد زمن الغول (المستعمر) وهي في ذلك تحيي الذاكرة الوطنية في شكل أحداث خيالية تخطها شخصيات ذلك الزمن في مقاومة المحتل: «عندما استيقضت مليكة صباح ذلك اليوم، كانت كالذي يجتر حلما لذيذا تزول لذته شيئا فشيئا، حلما مستعصيا على التملك، ينساب مغادرا قلبها وجدارها المخدرة من أثر ليلة سعيدة تحققت ولم تتحقق، حلما يهدد الضياع في كل لحظة، وكل يوم، حلما يغرق فجأة في أحاسيس القلق، وغياهب الخوف المبهم، وقررت أن تخرج ... وتشاهد الناس، تسمع أصواتهم تنتظر سحناتهم، تقارن بينها وبينهم، فيهم تهرب من نفسها من الخوف الذي يتوعدها وهما أو حقيقة» (ونيسي، لونجة والغول، دط، دت، صفحة 110). إن الذات تعيش حالة تبدد الحلم حينما يصبح مجرد وهم وهي تصطدم بمرارة الواقع المعيش.

### ج- الأفضية:

الزمان والمكان مكونان نصيان يجتمعان لتشكيل فضاء المتخيّل الروائي، كما يمثلان المساحة الذهنية التي اصطفت فيها ذكريات وأحداث السيرة الذاتية للمبدعة.

د - الزمان:

يمثل الزمان الصيرورة والتحول والتواصل ولذلك فهو أهم عنصر تقوم عليه الرواية التي تمثل وعي الذات الإنسانية بخصوصياتها التاريخية والحضارية والثقافية، فالرواية فن زمني بامتياز؛ >> لأنها تستطيع أن تلتقطه وتخصه في تجلياته المختلفة: الميثولوجية والدائرية والتاريخية والبيوجرافية والنفسية>> (برادة، 1993)، كما أنها أكثر الأنواع الأدبية اندماجاً مع متقلبات الأزمنة الراهنة. تقوم رواية السيرة الذاتية على حركة استرجاع الزمن، وهو فعل تخيلي يحقق المزية الجمالية، بحيث يتم إعادة صياغة الذكريات والأحداث التاريخية الماضية عبر تقنية الاسترجاع التي تسهم في عملية خلخلة وتكسير خطية الزمن التسلسلي في الرواية، بحيث يتم قطع التواتر المتنامي للسرد بالعودة إلى الماضي واستحضاره ثم إعادة تشكيله ضمن البنية الكلية للسرد وتصبح جزءاً مهماً من أجزائه، فإذا >> كانت المقاطع السردية الحاضرة تعد المحكي الأول من وجهة نظر جيرار جينات، فإن مقاطع الاسترجاع... تعد المحكي الثاني من حيث الزمن، حيث تتعلق بالأول وتبعه فنيا >> (القصرأوي، ط1، 2004،، صفحة 192).

والاستذكار في رواية السيرة الذاتية تشكيل زمني ينم عن وعي الذات المبدعة بزمن الذكريات وتقاطعها بزمن الحاضر، كما يترجم رؤية جديدة للزمن التخيلي في ضوء الخصوصية الشخصية. وتكون فاعلية استحضار الماضي في سد فجوات الزمن الحاضر ودمجها وإعطاء تفسير للمواقف المتغيرة في الواقع، يقول باشلار (G. Bachelard): >> إن الذكرى لا تُعلم دون استناد جدلي إلى الحاضر... فالذكرى تعيد وضع الفراغ في الأزمنة غير الفاعلة، إننا حين نتذكر، بلا انقطاع، إنما نخلط الزمان غير المجدي وغير الفعال بالزمان الذي أفاد وأعطى>> (غاستون باشلار:، ترجمة خليل أحمد خليل، 1982، صفحة 84)

تنطلق أحداث رواية " جسر للبوخ وآخر للحنين" من النهاية وتعود تدريجيا نحو البداية اعتمادا على ذاكرة السارد البطل " كمال العطار" (أو الذات) الذي عاد إلى مدينة الجسور بعد غياب دام أربعين عاما، وهو تشكيل يتجاوز آلية التواتر أو الترتاب الزمني ويعتمد تقنية الفلاش باك (الاسترجاع)، في محاولة كسر صلابة الزمن النفسي الذي يتبع خطأ أفقيا في استرجاع الذكريات.

يمتد الفضاء الزمني التاريخي على صفحات الرواية من أولها إلى آخرها، عبر أحداث الماضي المختزن في ذاكرة كمال العطار عن تاريخ قسنطينة الموهل في القدم بدء بتاريخ قسنطينيين القائد الروماني الذي يقف تمثاله شامخا في ساحة محطة القطار التي عاد منها البطل إلى مدينته، ويتوقف القطار عند المحطة تفتح أحداث الرواية ثم تنغلق في المحطة نفسها أثناء عودته إلى الجزائر العاصمة، و يأتي حكي الذات استذكارى بين الأمجاد والانكسارات يضم مواقف شخصيات حققوا أمجاد المدينة عبر التاريخ من مثل ماسينيسا مؤسسها، وسيزار، وسيفاقس، وشخصية عقبة بن نافع ... كما يضم الاستذكار مواقف شخصيات من جيش المحتل الفرنسي أسهموا في صنع الخيبات والهزائم من مثل الجنرال بوربون وكلوزال اللذان شوها صورتها بعد أن عجزا عن فتحها متربصين بأهاليها مدة سبع سنين.

ارتبط هذا الفضاء التاريخي الغارق في أمجاد ماضي المدينة بوعي الذات وغاياتها في التوجيه واستخلاص العبر لترميم ما حل بها في زمن الحاضر من فساد في القيم والأخلاق، فالمدينة التي صمدت على مر الزمن بشموخها أمام محاولات القوى الخارجية في الاستيلاء عليها، تقف اليوم أمام مظاهر التخلف واللامبالاة والجري وراء ماديات الحياة على حساب المبادئ والقيم، فالمدينة تتوسل تاريخ الثورة التحررية ومقاومة المحتل الفرنسي من ذاكرة الذات لتعيد مجدها.

وأما الاستباق فهو تصوير مستقبلي لحدث سردي سيأتي مفصلاً فيما بعد، إذ يقوم السارد باستباق الحدث الرئيسي في السرد بأحداث أولية تمهد للآتي وتوهم للقارئ بالتنبؤ واستشراف ما يمكن حدوثه، أو يشير (السارد) بإشارة زمنية أولية تضيء حدثاً ما سوف يقع في السرد (القصراوي، ط1، 2004،، صفحة 211)، وهذه الحركة تمنح القارئ حالة من التوقع والانتظار لما سيحدث مستقبلاً في السرد، وهذا هو المظهر القرائي الذي يتجلى من خلاله الاستباق في الرواية، أما المظهر الآخر فهو نصي، ويتجلى من خلال الاختزالات أو المحذوفات المحققة للكثافة الزمنية. ولهذا فإن الاستباق تقنية زمنية تتجلى بشكل واضح في الروايات التي تتداخل والسير الذاتية.

جاءت حركة استباق الزمن في رواية " من يوميات مدرسة حرة"، من أجل استشراف مصير الشخصية التي تسرد ذكرياتها، ولقد جاء التعبير بضمير المتكلم (الذات) في سرد أحداث لاحقة لزمن السرد، بحيث كان زمن الحكاية القديمة ممتداً بشكل كاف حتى يتم على مستواه اختصار السنوات وإيراد أحداث بعينها للكشف عن حقيقة ما. إنها تقنية الحذف الصريح حسب ما جاء به جيرار جينات والتي تفضي إلى إحداث ثغرات زمنية في السرد.

لعل فاتحة الرواية توضح بشكل كبير الحركة الإستباقية الممثلة في انتقال الذات الساردة (صاحبة الضمير "أنا") من زمن استلام منصب التعليم في المدرسة إلى زمن سرد أحداث الفصل وما بعدها، وزمن الثورة الذي انطلق من لحظة اشتغالها مُدرسة عبر العودة إلى الذكريات، فالزمن الأول المتعلق بحيثيات اشتغالها بالمنصب الجديد كان زمناً مغيباً ضاعت أحداثه واكتفت صاحبة الأحداث بالإشارة إليه في حوارها مع المفتش: >>... وماذا تريد أن تكوني في يوم من الأيام؟ أكمل دراستي أولاً... إن شاء الله... قالها الرجل وهو ينقر بقلمه حافة المكتب... وشعرت لحظتها أن الرجل يرثي لحالي... وازداد الشعور كثافة، عندما

دخل السيد المدير معتذرا عن تخلفه ففاجأه الرجل المفتش قائلا: \_إنها تريد أن تتم دراستها، وهي لا تحب التدريس... >> (ونيسي، من يوميات مدرسة حرة، 1979، صفحة 23).

#### - المكان:

يتشكل الفضاء المكاني في الرواية بحسب المعطيات التي تقدمها الشخصيات والأحداث والساد، فيتحول من فضاء واقعي محدد المعالم مسبقا إلى مكان إبداعي يحمل خصوصية الخلق والبناء الفني، فقد أصبح المكان في التجارب الروائية الجديدة تركيبة بنائية يكشف الروائي من خلالها عوالم تعبر عن رؤاه ووجهات نظره (ونيسي، من يوميات مدرسة حرة، 1979، صفحة 23).

ومن هنا، يتجلى المكان في رواية السيرة الذاتية، تقنية جمالية تحمل التعدد والتراكم في المشاهد والصور مما قد يكشف عن حيوية ودينامية النص من جهة، وعن وعي ذاتي حامل لتجارب وخبرات توسع آفاق الكتابة الروائية من جهة ثانية، ذلك لأن التنوع المكاني الذي أصبح سمة هذا النوع من الكتابة، هو طاقة كامنة في الذات تفجرها بأدوات فنية مبتكرة وتوظفها توظيفا خلاقا يضيف على تجربة الكتابة الروائية السير ذاتية نوعا من الخصوصية.

يظهر فضاء السرد في رواية "جسر للبوح وآخر للحنين" من خلال مدينة قسنطينة التي تجمع الحضارة والتاريخ والثورة والمقدّس الديني، يقول السارد: >> قابله تمثال الرجل الروماني منتصبا، والذي أطلق على المدينة اسمه نرجسية، وفخرا... "قسنطين" القائد الروماني واقف بتنورته القصيرة وفي خصره خنجر، كان أهم سلاح يمتشقه فارس محارب، ولا بأس من أن يحمل خصره الثاني فأسا، ذاك كل ما يمكن أن يتسلح به محارب في تلك العهود >> (يقطين، قال الراوي البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، 1997،، صفحة 238)

ويرتبط فضاء هذه المدينة بعراقتها وحضارتها و تاريخ صمودها ضد هجمات الغزو الخارجي، وهو ما جعلها نموذجا حيًا للأجيال اللاحقة ، وفضاء أيقونيا شاهدا في صورة تلك الجسور المعلقة ، يجمع مجد الثورة الماضي ومجد الأمة المستقبلية، وهو تشكيل بصوري تحاول الكاتبة من خلاله تجسير ذاكرة المكان ووعي الذات بتاريخ ذلك المكان، تقول: <<كل الحملات التي شنت لامتلاكها باءت بالفشل، حتى تلك التي جاءت باسم الأخوة والدين، و"حمود باشا" فارس جارتها تونس، يكاد يهلك وهو يحاول أن يحتل جبل منصورتها، ليرجع مخذولا إلى بلاده، لأنه نسي أنها المنصورة منذ "عقبة بن نافع" إلى "كلوزيل" الذي يتصور أنه قد امتلكها، فكان لطعم انتصاره مذاق العلقم على مدى ما بقي من عمره...أحبك أيتها الحسناء بأخاديدك وتجاعيدك وأدغال حناياك، وهي تقطر ألما على شبابك الضائع، هل يمكن أن تكوني بكل تلك الشجاعة وأكون اليوم بهذه الملامح الجبانة؟ كيف يمكن أن تكون المدينة بأسلة بدون أهلها؟ أو كيف يمكن أن تكون بأسلة وأهلها جبنا؟ >> (ونيسي، جسر للبوح وآخر للحنين، دط، دت، صفحة 14\_15).

ويحتل فضاء المقدس مساحة هامة في الرواية، وقد مثلته المساجد وزوايا الأولياء الصالحين وأضرحتهم، فأزقة المدينة تعج بمساجدها الصغيرة وزواياها التي تحتفظ بأضرحة الأولياء، وهو مشهد يدخل في تشكيل فضاء ذاكرة الذات وتخيل فضاء السرد.

## 5. خاتمة:

من خلال خاتمة هذا البحث، يمكن حصر جملة من النتائج في النقاط التالية:

- تتوسل رواية السيرة الذاتية خطابات التاريخ والسياسة والثقافة... لبناء وجهة نظر الذات.

- يعيش المثقف حالات من الاغتراب، ورواية السيرة الذاتية وجه من أوجه الاغتراب الذاتي.

- الحلم في رواية السيرة الذاتية حياة الذات البرزخية بين طموح "الأنا" وخذلان "الآخر"، أو بين الرؤيا والانكسار.

- تداخل السرد التخيلي والسيرذاتي توليفة فنية خلاقة، تحفظ خصوصية الكتابة الذاتية في علاقتها بالتجريب.

## 6 قائمة المصادر والمراجع:

1. ميخائيل باختين: ترجمة محمد برادة، (ط1، 1987). الخطاب الروائي. القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع.
2. Lejeune, P. (1975). Le Pacte autobiographique coll. « Poétique ». Paris: Éd. du Seuil.
3. إبراهيم صحراوي. (ط1، 1999). تحليل الخطاب الأدبي، دراسة تطبيقية. الجزائر: دار الأفق.
4. المسدي، ع. ا. (دط، دت). النقد والحداثة. بيروت: دار الطليعة.
5. زهور ونيسي. (1979). من يوميات مدرسة حرة. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
6. زهور ونيسي. (دط، دت). لونجة والغول. الجزائر: مطبعة دحلب.
7. زهور ونيسي. (دط، دت). جسر للبوخ وآخر للحنين. الجزائر: منشورات زرياب.

8. سويرت م ( ج.2، دط ، .(1991النقد البنيوي والنص الروائي )الزمن-الفضاء-السرد .(الدار البيضاء: إفريقيا الشرق).
9. شرف ,ع .(1998) ،، دط .(أدب السيرة الذاتية .القاهرة: مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع.
10. عبد العالي بو طيب. (11, 1993). مفهوم الرؤية السردية في الخطاب الروائي بين الالتلاف والاختلاف. العدد4، صفحة مجلة فصول.
11. غاستون باشلار:، ترجمة خليل أحمد خليل .(1982). جدلية الزمن .الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
12. محمد برادة. (1993). الرواية أفقا للشكل والخطاب المتعددين. مجلة فصول، المجلد 11، العدد04، ص22.
13. مها حسن القصرآوي. (ط1، 2004). الزمن في الرواية العربية. بيروت: المؤسسة العربية للنشر والتوزيع.
14. ونيسي، ز .(1979). من يوميات مدرسة حرة .الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
15. يقطين، س (1997) ،. (قال الراوي البنيات الحكائية في السيرة الشعبية .الدار البيضاء/بيروت:المركز الثقافي العربي).
16. يقطين ، س) . ط 1، (1997تحليل الخطاب الروائي )الزمن -السرد -التبئير .(الدار البيضاء/بيروت:المركز الثقافي العربي).